إني لدى الحرب ذخيُ اللَبَبِ أُمهتي خندفُ وإلياس أبي

وسُمّي السل : داء اياس وداء الياس لان الياس مات منهُ (كذا) - ذكرهُ السهيليُ - (قلتُ: والذي عندي انهُ من اليأس لان المسلول لا يُرجى لهُ شفاء ومثل اليأس الاياس بمعناهُ) ثمَّ انهُ لا يضرّ المعرَّب كونهُ موافقًا للفظٍ عربي كسكّر فانهُ معرَّب. وان كان عربيّ المادَّة بمعنى اغلق. اه

فانت ترى في بعض التأويل من التكلُّف والتعسُّف والتمحُّل ما لا يخفى على العاقل عند أدنى تأمُّل

منتخبات

من ديوان الدكتور شاكر بك الخوري

وقفنا على ديوان الدكتور البارع شاكر بك الخوري فوجدنا فيهِ من القصائد الحسنة ذات المعاني المبتكرة والابيات الباهرة ما كان لنا اقوى دليل على أنَّ الدكتور لا يطبّب فقط الابدان بل يطبّب ايضًا الارواح بطُرَف شعرهِ المطبوع فاحببنا ان نفكّه بشيء منهُ أمام قرّاء المشرق فمن ذلك ما قال من قصيدة في مدح المثلث الرحمات البطريرك حنَّا الحاج عند ما نال الوسام العثماني الاول في مقابلة ما تبرَّع بهِ على دار العجزة في الاستانة

ان تُوِّج الرأسُ فالاعضاء تائهةٌ ما نالهُ من رفيع المجد والشانِ
لا يفلحُ المرء يومًا في وظيفتهِ ما لم يكن فيهِ طبعًا شرطُها الباني
شرط الرئاسة قلبٌ لا يخاف اذًى ولا يُبالي بتهديدٍ وعدوانِ
عقلٌ لشهوات نفس عاقلٌ ابدًا قساوة ثمَّ لينٌ بعضَ احيانِ
طَرْفٌ على كل امرٍ ساهرٌ يقظٌ وغضّهُ عن مُسيءٍ بعض ازمانِ
ولا يضيّع امرًا وقت منفعة ولا يحرّك امرًا وقت خسرانِ
هذي رئاسة دنيا لا تبالي بها ونحن نتبعها حفظًا لوجدانِ
لكن سياسة دينٍ انت تابعها هي سياسة احسان وغفرانِ

ومنها:

احسنت حبًّا باحسان بلا غرض لمذهب او لجنس او لأوطانِ
لا فرق عندك ان اعطيت ذا عوزٍ ما بين ابناء سوريًا وسودانِ

ان كنت بطرك دينٍ عند طائفةٍ فبالمروّة بابا كلّ انسانِ

ولهُ من قصيدةٍ قالها عند ما جلس على الكرسي البطريركي غبطة السيد البطريرك مار الياس الحويك المشهور بالزهد والتقى والدعة

تزهّدَ في متاع الارض حتّى تراهُ كأنهُ فيها الغريبُ
ومن قفل الجيوبَ لزهد دين اليهِ اليومَ تنفتح القلوبُ
علا فوق الثرى حتى الثريّا بنفس حرّةٍ لا تستهيبُ
سوى ما كان ضدّ الله امرًا وما متضررٌ منهُ القريبُ
لفضلٍ نال هذا العرش حقًّا ولم يمنحهُ اياهُ النصيبُ
وفكرُ الكل متفقٌ عليهِ وفكرُ الكل متفقًا مصيبُ
وشعبٌ واحد لم ينتخبهُ الى هذي الاريكة بل شعوبُ
فكنّا قبل ان خُضنا حديثًا على خلَف ليحيي(١ مذ يغيبُ
اشار الكل مع شكرٍ اليكم واول شاكرٍ هذا الطيبُ
اذا سألت قداستكم لماذا اشير اليكمُ فانا الجيبُ
اذا الجنديُّ وافى عن بعيدٍ الم يعرفهُ من زينٍ رقيبُ
فانتم قد لبستم ثوب طهرٍ وذا ثوب البطاركةِ المهيبُ
بهذا الثوب قيلًا قد عُرفتم وليس لعرفهِ امرٌ عجيبُ
فلا لون الحرير يثوب عنهُ ولا يعتاضهُ البرد القشيبُ
تحلُّ البطركيّة أينَ حلّت فليس سواه جاباب رهيبُ

ومنها:

نشرتم طيبكم شرقًا وغربًا وليس لفضلكم ابدًا غروبُ
ولا في قولكم اقوال ريب ولا في صيتكم امرٌ يشوبُ
حوى صدقًا وزهدًا ثم علمًا وحبَّ الله صدرُكم الرحيبُ
اذا ألقيتُ اربعةً سواكم نظيركمُ فمن هجوي اتوبُ

وقال عندما نال غبطتهُ نيشان القبر المقدّس:

لمّا رأى القبر المقدّس قلبكم في كل ليلٍ طائفًا في انسهِ

(١ يريد المثلّث الرحمات البطريرك يوحنّا الحاج سلفهُ

وافـاه بالامس لردّ . زيارةٍ ويرى قداسة قلبـهِ في نفسهِ
فزها على صدرٍ بفيض طهارة فكأنهُ لم يفترق عن قدسـهِ
وكان الامضاء: قديمًا شاكر الخوري حديثًا شاكر البطرك
واحيـانًا لمطرانٍ اذا قاستني شكرك

ولهُ في ابنتي الامير سليم بن منصور الشهابيّ واسمهما سلمى واسما وكانت اسمها تدعى نورًا. وفي الابيات اشارة الى الامير بشير الكبير الشهابيّ:

تشاورت الفضائل في سماها لتُرسل بعضها للارض قسما
فقد اخذت شهابَ الجوّ سلكًا يضمّ الارضَ والعلياءَ ضمًّا
وقد كان الشهاب لنا بشيرًا يبشّر ارضنا عدلًا وحلما
ولمّا بات منصورًا عليها فاضحى والدًا والنورُ امًّا
لذا دُعيت بإسم بني شهابٍ وقد اخذت لها في الارض حكما
وقد اعطت لذي عقل سليمٍ ليُعطي الكلَّ ألقابًا وأسما
فسمّى الظَّرفَ والإدراك سامى وسمّى العلم والآداب أسما
فسامى من عيوب الارض سلمى واسما من سماء الجوّ أسمى

ولهُ في شابّ اسمهُ فؤاد قصتهُ المبيّنة في مقتل العمر وهو ابن وحيد بين سبع اخوات. وكان ذا حسب ونسب وعلم وعمل فقال الدكتور يعزّي والدهُ قصيدةً هذا مطلعها:

ان كان قصد رثائي أن اعزّيكا فلم اجد كلمةً بالقصد تأتيكا
فكلُّنا عند ذا في موقف حرجٍ فالصمتُ احسن شيء من معزّيكا

وقال في ختامها:

ان شئتَ في هذه الدنيا معالجةً في ذا المصاب فلن تلقى مداويكا
فالله اقوى معزٍّ في مصابنا فهو الوحيد الذي عنّا يعزّيكا

وقال في حادثةٍ اخرى مثل السابقة بيتًا فردًا ارسلهُ الى والد الفقيد:

انَّ الذي ابكاكَ قد ابكاني فمن الذي منّا يعزّي الثاني

وتوفيت امرأة رجلٍ من اصحابهِ اسمهُ يوسف وكان اسم المتوفّاة مريم وهي سيّدة فاضلة مرموقة بفضلها وعفافها فكتب هذه الابيات تحت صورتها:

تخاصمتِ السما والارض حتى تنالكِ هـذه او تلك قسما
فقضّلتِ المماتَ على حياةٍ لكي لا تجعلي في الكون خصما

فأعطيتِ السما نفساً تذكّت كما ابقيتِ في ذي الارض جسما
لعفّة مريمٍ جدّدتِ ذكرًا يعطّرنا كما أحييت إسما
فلن ينساكِ يوسفُ حيث أحيا لحسن جمالكِ المشهورِ رسما

ولمّا كان مرض شيكاغو سنة ١٨٩٣ أقيم لكرستوف كولومب تمثال جميل وطلب اصحابهُ ابياتاً في كلّ اللغات تُكتَب تحتهُ فقال الدكتور شاكر واشار الى اسم كولومب ومعناهُ الحمامة وعرّض بحمامة نوح وبالروح القدس الذي حلّ على المسيح على شكل حمامة :

قد كنتَ حيًّا يا كُلُمبُ حمامةً أغنتْ شكاغو عن حمامةِ نوحِ
واليوم فيها قد حللتَ ولم تكن من قومِ نوحٍ بل حمامة روحِ
فجميع ألسنة الورى أطلقتها شعرًا على تمثالك الممنوحِ

وقال من مدح لبعض الوزراء نال وسام النسر الاسود وكان سابقاً يحصّل هذه ياشيت بحيث اذا عرضها على صدرهِ غطّتهُ لكثرتها :

تسابقتَ في أوْج المعالي مع النَّسر فقصّر عنك فاستراح على الصدرِ
سماء غدا ذا الصدرُ اذ هو قد حوى هلالًا ونسرًا مع بهما الانجم الزُّهرِ
وما انا ممّن يرصد الصدر ظاهرًا ولكنّ رصدي ما حواهُ من الكبرِ
اذا كان ظهرُ الصدر جمعُ جواهرٍ فباطنهُ جمعُ الشهامة والطبرِ

وقال يذكر صفات الشعر ويذمّ الذين يسرقون اقوال غيرهم ويكثرون المديح بلا داعٍ ويكررون المعاني المبتذلة :

فغيري يقول الشعر عن فكر غيرهِ ويعتبر التقريظ فرضًا لمن ولّوا
وينسب للممدوح ما ليس عندهُ ولو كان اعمى العين زيّنها الكحلُ
ولكنّ شعري وهو فكري مترجمٌ فؤادي ولم يذكر صفاتٍ لمن يخلو
وما هو عندي مهنة او بضاعة سوى مقصدٍ للجدّ يستره الهزلُ
لذلك لا اخشى بيان حقيقةٍ ولو غضب الموصوف وانقطع الحبلُ
وما حسنهُ الّا حقيقةُ ما بهِ ولا بحرهُ مرٌّ ولا وزنهُ ثقلُ
ولا يحدثنّ للسامعين تثاؤبًا ولا يدّعِ الحضّار ان سمعوا ولّوا
زلا الشمس والاقمار والظبيُ والقنا ولا عنترٌ او حاتم لهُ دخلُ
افضّل كسر الشعر مع حسن سمعهِ على نظم موزونٍ لسامعهِ قتلُ

ولستُ بنظمي مادحاً من احبُّهُ ولا هاجياً بل قائلاً ما هو الشكلُ
فشعريَ للموصوف مرآةُ خلقهِ يُري صورة الموصوف فهو لهُ ظلُّ
لذلك ان ابديتُ هجواً ومدحةً فكن واثقاً فيما اقولُ وما اجلو

وتشكّت اليه امرأة بعض الوجهاء من قصيدة قيلت فيها وكان ناظمها قد بالغ في الاوصاف اذ شبهها بالبدر والشمس وما شاكل ذلك فقال الدكتور بديعاً:

ما شبّهوكِ بالبدور لنورها ما انتِ حقّاً للشموس ضياء
لكن لبعد مثالها ووصالها فهي وانتِ بالنوال سواء

فكان سرور السيّدة بهذين البيتين اكثر منها بقصيدة الناظم رغماً عن اسهابها في الوصف

ومن فكاهاته ما قالهُ في امير يُدعى حافظاً كان عيّاً لا يحسن الجواب لكنّ الدكتور شاكراً باحثهُ مدّة فكان مجيبهُ حسناً فتعجب الناس من ذلك. فقال:

اميرٌ حافظٌ ابداً صموتٌ وقد عدوْهُ من بُكم الزمانِ
وقد انطقتُهُ لمّا رآني فظنّوا انّني بلعام ثانِ

وقال في رجل يدعى يونس طلب من بعض الوجهاء ان يتوظّف عندهُ:

أيا من مُجلُّ لهُ مجلسٌ أيونس تختارهُ موئسا
ألا تذكرُ الحوت مع هضمهِ عقيب الثلاثة قا (١) يونسا

ولهُ في احد اصدقائهِ يدعى شكري كان نسبهُ الى المبالغة في بعض اقوالهِ:

نعم انّ شعري في الانام حقيقةٌ فلا احدٌ في الكون يسطو على فكري
ولستُ لغير الحقّ يوماً بشاكرٍ وان قلتُ غير الحقّ فليلعنوا شكري

وكتب تحت صورة سيّدة تُدعى مريم تصوّرت بزيّ الحرب على شكل المرنّخ اله اليونان:

لبستِ لبس إلاهٍ قد كان في الروم يُكرَمْ
فنحنُ ابناء قومٍ لنا عبادة مريمْ

وكتب تحت صورة سيّدة أخرى تصوّرت على هيئة الجنّ بشباكٍ على جسمها:

مهما اشتبكتِ بسرٍّ هل تُخفي شمساً شباكُ
وان لبستِ كجنٍّ ما انتِ الّا ملاكُ

(١) اراد «قاء» فحذف

وجرى لهُ خصام مع رجلٍ من احدى أُسر لبنان الشريفة يدعى شبلاً فارسل الى اهلهِ هذين البيتين:

لكم يا بني السادات في الناس رفعةٌ ... فما احدٌ منكم فوقها ابدًا يعلو
فانتم اسودُ الغاب في حومة الوغى ... فاعلاكمُ سبعٌ وادناكمُ شبلُ

واتاه رجلٌ مفرط السمن فجلس على مقعد داره فانكسرت خشبتهُ المعروفة بالجحش ثم اعتذر بان الجحش ركيك فقال مازحًا:

سمينٌ قد علا ديوانَ داري ... فكسَّر جحشهُ وبغى اعتذارا
فقال يخورُ جحشُك قلتُ كلاَّ ... فانَّ الجحش لم يحمل حمارا

وكان في ليلة ساهرة مع قوم يتناشدون الاشعار اذ ملُّوا وطلبوا الورق ليلعبوا فساء ذلك الدكتور شاكرًا فقال:

ولقد حفظتُ عن المسيح وصيةً ... اي قولهُ لا تحقدوا بل اصفحوا
وعصيتهُ في طرح نظمي بينكم ... يا ليتني لم اعصِ في لا تطرحوا

يريد قول المسيح: لا تطرحوا جواهركم امام المتازير.

واتاه رجلٌ كان عرفهُ في مصر يبيع التبغ وادَّعى انهُ صار لهُ هناك اعتبار كبير وان الكلَّ يكرمونهُ فقال الدكتور:

تقول بمصرٍ قد غدوتُ مكرمًا ... فما عندنا شكٌّ بفوزكَ والنَّصرِ
لقد ذكر التاريخُ من قبلك لنا ... بانَّ الهكَ الثورَ يُعبَدُ في مصرِ

ودخل على رجل يحبُّ المقامرة فكلَّمهُ في شيء وهو يلعب. فلمَّا انتهى اللعب وخسر الرجل قال: انما خسرت لانَّ الدكتور شاكرًا ألهاني عن التروي اللازم فقال عن لسانهِ:

الهيتني يا شاكرًا ... ما هكذا فعلُ الصديقْ
فاجبتهُ اني الذي ... يلهي الحمار عن العليقْ

وقال في احد الكهنة من بيت الاسود (والاسود الحيَّة) تخرَّج في مدرسة الآباء اليسوعيين:

رجالُ ايشوعَ اضحوا اعجوبةً في الساعي
لو ارشدوا اليوم ذئبًا لاصبح الذئب الراعي
وخيرُ سعيٍ اتوهُ تغيير نسل الافاعي

وللدكتور الشاعر فكاهيَّات أُخرى كثيرة سينشرها قريبًا في مجموع ديوانهِ الذي دعاهُ «مجمع النشرات» وفي ما اقتطفنا منها دليل للقرَّاء على ما اصاحبها الاديب من طلاقة اللسان وجودة المعاني وسلاسة التعبير